تلقي مصطلح "الانزياح" في الخطاب النقدي العربي:
كتاب "إشكالية المصطلح" لـيوسف وغليسي أنموذجا

Reception of the « displacement » in The Arab critical discourse:
Yousef Ouglici's book "the Problematic of the term" as a sample

تاريخ الاستلام : 2021/02/27 ؛ **تاريخ القبول :** 2023/04/03

* إيمان لعور

أ. د. نبيل بوالسليو

مخبر التراث الأدبي الرسمي والهاشمي، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، الجزائر.

ملخص

يعدّ المصطلح النقدي أحد أهمّ مقومات النص الإبداعي، لما يقوم به من ضبط للمفاهيم وتوضيح للرؤى.. ولا شك أنّه يمثل العمود الذي يقوم عليه الخطاب النقدي.. لذا شغل، ولا يزال، مكانة هامة في أواسط الباحثين والنقاد وأخذ حيزا معتبرا من الدراسة والتمحيص عبر أجيال مختلفة..

وقد آثرنا في هذه الدراسة التطرّق إلى مصطلح الانزياح وإلى إشكالية ترجمته ونقله إلى اللغة العربية؛ من خلال كتاب: "إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد" للناقد "يوسف وغليسي".

الكلمات المفتاحية: المصطلح، الانزياح، المصطلح النقدي، الانحراف.

Abstract

The critical term is considered one of the most important components of the creative text, because of its tuning of concepts and clarification of visions .. There is no doubt that it represents the pillar on which the critical discourse stands ...It has occupied, and still is, an important position among researchers and critics and has taken a significant amount of study and scrutiny through different generations.

We preferred in this study to address the term « displacement » and to the problem of its multiplicity and the confusion of its transfer to the Arab world.

Keywords: term, displacement, critical term, declination.

Résumé

Le concept critique est un des éléments fondamentaux dans l'élaboration d'un texte créatif (de créativité), eu égard à son éclairage conceptuel précis et la clarification de la vision qu'il apporte. De ce point de vue, il s'avère un support de la critique littéraire. Ce qui explique le fait qu'on ne cesse de lui assigner une place importante dans le milieu des chercheurs et des critiques. Effectivement, il ne cesse de gagner du terrain, en termes de recherches et d'affinement, à travers les générations successives.

Notre présente étude focalise sur le concept d'"écart" ou de "déviation", et corollairement sur le problème de sa traduction et de son transfert dans le champ de la littérature arabe. Nous l'examinons à travers l'ouvrage "***La problématique du concept***" dans le nouveau discours critique arabe, de Youssouf Oughlissi.

Mots clés: le concept – l'écart - le concept critique- la déviation (décentrement).

* Corresponding author, e-mail: i.laouar@univ-skikda.dz

© جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر 2023.

تطرّق "وغليسي" إلى إشكالية التعددية المصطلحية في العديد من مؤلفاته، لعلّ أهمها كتابه الموسوم بـــ: "إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد"، وقد أجمل العديد من إشكاليات هذه التعددية المصطلحية؛ منها ما يرتبط بتعددية المفاهيم الناتجة عن اختلاف التصورات والخلفيات الفكرية والفلسفية والإيديولوجية لكل باحث مما ينجرّ عنه تشعب الرؤى والتصورات فيقع خلط والتباس على مستوى الحد المصطلحي للمفهوم.. وقد انطوت هذه الدراسة على جملة من التساؤلات المتضافرة فيما بينها، منها:

- ماهي طبيقة مقاربة إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي عند "وغليسي"؟
- فيم تتمثل أهم الإشكاليات التي يصطدم بها النقاد والباحثون أثناء تلقيهم للمصطلحات وتقديمهم للبدائل الاصطلاحية في الخطاب النقدي العربي؟

وهدف هذه الدراسة هو محاولة التعرف على خصوصية تلقي هذا المصطلح من خلال وجهة نظر نقدية عربية، متتبّعين في ذلك آليتي الوصف والتحليل في رصد هذه الظاهرة النقدية.

1-تعريف المصطلح:

ينحدر المصطلح من الجذر اللغوي (صلح)، ويشير "ابن فارس" في "معجم مقاييس اللغة".. في مادة "صلح" أنّ: "الصاد واللام والحاء أصلٌ واحدٌ يدل على خِلاف الفَساد. يقال صلُح الشّيءُ يصلُح صلاحًا. ويقال صَلَح بفتح اللام.."[1] ، وورد في لسان العرب: "الصلاح: ضد الفساد؛ صَلَحَ يَصْلَحُ ويَصْلُحُ صَلاحا وصُلُوحًا.."[2] ، وفي "المصباح المنير": "...و(صَلُحَ) بالضَّمِّ لُغَة وَهُو خِلافُ فَسَدَ و(صَلَحَ)(يَصْلَحُ) بِفَتْحَتَيْنِ لُغَةٌ ثَالِثَةٌ فَهُو (صَالِحٌ) وَ(أَصْلَحْتُهُ) (فَصَلَحَ) و(أَصْلَحَ) أَتَى (بِالصَّلَاحِ) وَهُو الخَيْرُ والصَّوَابُ وَفِي الأَمْرِ (مَصْلَحَةٌ) أَيْ خَيرٌ وَالجَمْعُ (المَصَالِحُ)... وَ(أَصْلَحْتُ) بَيْنَ القَوْم وَفَّقْتُ و(تَصَالَحَ) القَوْمُ و(اصْطَلَحُوا)..."[3]

أمّا الاصطلاح: مصدَرُ اصطَلح وهو "اتفاق طائفة على شيءٍ مخصوص، ولكلِّ علمٍ اصطلاحاتُه"[4]، و"من المؤكد أنّ "المصطلح" مصدر ميمي للفعل "اصطلح" (مبني على وزن المضارع المجهول "يُصْطَلَحُ" بإبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة)، ورد فعله الماضي (اصطلح) على صيغة الفعل المطاوع (افتعل)، بمعنى أنّ أصله هو (اصْتَلَحَ). ومعلوم أنّ العربية في حال وقوع تاء (افْتَعَلَ) بعد صاد (كما هو الحال هنا) أو ضادٍ أو طاءٍ أو ظاءٍ، تجنح إلى قلب تلك الحروف طاء"[5].

غير أن مفهوم المصطلح في اللغات الغربية أو الأوروبية يتكوّن بعامة من عنصرين اثنين "وذلك كما يمثّل في اللغتين الفرنسية والإنجليزيّة «Terminologie,Terminology». ولقد جاء هذا المصطلح مركّبًا من عنصرين اثنين، كما هو معروف، من «Terme» وهو الذي جاء من اللّفظ اللّاتيني Terminus»«والذي معناه الحدّ؛ مضافا إليه اللّاحقة الإغريقية المعروفة «Logos» الواردةُ بمعنى العِلْم. فكأنّه يعني في اللّغات الأوروبيّة بعامّةٍ عِلْمَ الحدّ؛ أي العلم الذي يستطيع وضْعَ الحدود للمفاهيم"[6]. ومن هنا نلحظ أنّ المصطلح -عند العرب- يحيل عموما على مدلول الصلاح والتوفيق والاتفاق.. وكلّ ما هو نقيض للفساد. والمُلاحظ أيضا أنّ "مفهوم المصطلح، في اللغة العربيّة، لا يطابق مفهوم المصطلح في اللّغات الأوربيّة من حيث الاشتقاقُ والمعنى؛ ولكنّه يطابقه من حيثُ الوظيفة والدلالة؛ ففي العربيّة مشتقّ من المصلحة لنزوعه إلى تحقيق منفعة، في حين أنّه في اللّغات الغربيّة مشتقّ من الحدّ لنزوعه إلى تحديد المفاهيم"[7].

2-المصطلح النقدي:

يعدّ المصطلح "شفرة الخطاب النقدي وطلعه المثمر الذي لولاه ما كانت المعرفة، وما وقع التواصل.."[8] ، وفي ضوء ذلك، يمكن تعريف المصطلح النقدي على أنّه "رمز لغوي (مفرد أومركب) أُحادي الدلالة، مُنزاحٌ نسبيًا عن دلالاته المعجمية الأولى، يعبّر عن مفهوم نقدي محدَّدٍ وواضح، متّفَق عليه بين أهل هذا الحقل المعرفي، أو يرجى منه ذلك"[9].

ولا شك أنّ المصطلح النقدي، بشكل عام، يعدّ "عنصرا أساسيا من عناصر قيام نقد أدبي جاد وفعال في دراسة النصوص الإبداعية، وإبراز مقوماتها الفنية والفكرية، نظرا لما يلعبه من دور حاسم في ضبط المفاهيم وتوضيح الرؤى، ضمانا لموضوعية المقاربة النقدية من ناحية، وتيسيرا للتواصل الدقيق بين المهتمين والباحثين من ناحية أخرى"[10]. ولعلّ من أبرز النقاد والأدباء الذين شكّلت كتاباتهم ريادة فعالة في تناول المصطلح النقدي -قديما- نذكر: "إدريس الناقوري" في مؤلفه (المصطلح النقدي في نقد الشعر لقدامة)، و"الشاهد البوشيخي" في مؤلفه (مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب الجاحظ: البيان والتبيين)، وأيضا "أحمد مطلوب " في (مصطلحات بلاغية)..[11]

ومن ثمة، فقد أدى المصطلح النقدي دورا هاما في تأسيسه للخطاب النقدي الذي يخضع لسيرورة العملية النقدية والإبداعية وفق ضوابط منهجية.. حيث ساهم بشكل كبير في التأسيس للمقاربات النقدية بالإضافة إلى تمثّله كحلقة وصل قرّب المفاهيم وأجْلى الرؤى.

3-مفهوم الانزياح:

يحيل مفهوم الانزياح في اللغة إلى (البُعد والابتعاد)، وقد ورد هذا المفهوم (نَزَحَ) في معجم (كتاب العين) بمعنى (البُعد)، يقال: "نَزَحَتِ الدارُ تَنْزَح نُزُوحًا، أي بَعُدَتْ. ووَصْل نازح، أي بعيد"[12]، ويقال: "نُزِحَ بفلان: إذا بعُد عن دياره غَيبةً بعيدة.."[13] ، كما ورد في (معجم مقاييس اللغة): ".. ومنه نَزْحُ الماء، كأنَّه يُباعَد به عن قَعر البئر"[14].

أمّا اصطلاحا فيتحدّد هذا المفهوم عادة في الخروج عن النمط المألوف والمتعارف عليه، وتشير مجمل التعريفات إلى أنّ "الانزياح" هو "انحراف الكلام عن نسقه المألوف، وهو حدث لغوي يظهر في تشكيل الكلام وصياغته، ويمكن بوساطته التعرّف إلى طبيعة الأسلوب الأدبي، بل يمكن اعتبار الانزياح هو الأسلوب الأدبي ذاته"[15]. ولا يختلف اثنان في أنّ الانزياح قد "جاء لإخراج اللغة من دائرة المعاني المعجمية الضيقة والمعيارية المحددة، إلى دائرة النشاط الإنساني الحي"[16]، ويبدو أنّ "من الأهداف التي يسعى الكاتب لتحقيقها عند لجوئه إلى الانزياح البعد الجمالي في الأدب الذي قد لا يتحقق إلّا عن طريق الانزياح، ومن ذلك الضرورات الشعرية التي يلجأ إليها الشاعر"[17]، وهذا يعني أن اعتماد أسلوب الانزياح يفضي إلى كسر أفق انتظار المتلقي، ولفت انتباهه.

ولا شك في أنّ الانزياح هو جوهر الإبداع ووسيلة فنية متميّزة يستعملها الباحث الأسلوبي لكسر النمط الأسلوبي التقليدي وإضفاء عليه لمسة فنية تكسر أفق انتظار القارئ، إضافة إلى شدّ انتباهه وإثارته.. كل هذا بطابع فني جمالي وأسلوب مميّز.

وقد شكّل هذا المفهوم "قاعدة أسلوبية متينة، ومرتكزا محوريا لكمٍّ وافر من الكتابات الأسلوبية التي اتخذت من "أسلوبية الانزياح" تسميةً لها موازيةً للأسلوبية الأدبية"[18]، ويشير "وغليسي"، في خضم هذا، أنّ هذا المفهوم قد عرف أثناء نقله إلى الثقافة العربية تذبذبا وفوضى مصطلحية كبيرة نتج عنها بروز ما لا يقل عن أربعين مقابلا عربيا، وهو الشيء الذي خلّف ارتباكا في أواسط الكتابات النقدية، ويردف القول في هذا السياق أنّ ما يشفع لهذا التذبذب هو أنّ هذا المصطلح نفسه قد عبّر عنه

الغربيون بما يزيد عن عشرين مصطلحا..[19] ، ويبدو أنّ هذا التشتت راجع إلى تعدد المفاهيم والخلفيات الفكرية والثقافية لمختلف النقاد في الثقافتين..

وعلى الرغم من هذا التداخل والاضطراب بين المفاهيم، فإنّ "وغليسي" يرى أنّ أغلب النقاد "مجمعون -ضمنيا- على اختيار كلمتيْ (Déviation) و(Ecart) مصطلحين مركزيين في تداول هذا المفهوم؛ حيث تتقاطع اللغتان الإنكليزية والفرنسية في استعمال المصطلح الأول، بينما تنفرد الفرنسية باستعمال المصطلح الثاني"[20].

كما تتبّع الناقد تأثيل هذا المصطلح في الثقافة الغربية ودلالته عند أشهر النقاد الغربيين، فرأى "أنّ اللغة الفرنسية قد عرفت الكلمة الاسمية (Ecart) في القرن 12م، وفعلها (Ecarter) في القرن الموالي، وهو مشتق من الكلمة اللاتينية العامية (Exquartare) بمعنى: الفسخ أو التقطيع أو "التقسيم على أربعة"، أو حتى الطريق المتفرع إلى أربعة اتجاهات، أو المسافة الفاصلة بين الأشياء والأشخاص.."[21] ، هذا فيما يخص الاستعمال الفرنسي لهذا المصطلح.

أمّا المصطلح الثاني (Déviation) وهو الكلمة المشتركة بين اللغتين (الفرنسية والانجليزية) "فإنّها مشتقة من الكلمة اللاتينية (Deviatio)، بمعنى الانحراف عن الطريق؛ حيث (Via) هي ظرف مكان "Ablatife" معناه:عن طريق، أو بطريق، أوفي طريق.."[22] ، وبالتدقيق في هذين المصطلحين نرى أنّ المصطلح الأقرب من حيث الدلالة على هذا المفهوم هو مصطلح الانحراف (Déviation)، وذلك من حيث أنّه يتضمن الخروج عن النسق والابتعاد عن المألوف.. وهو الأقرب تعبيرا، من حيث البناء المعجمي، إلى المجال الأسلوبي.

وبالإضافة إلى ذلك، يتطرّق "وغليسي" إلى دلالة هذا المصطلح عند العديد من النقاد الغربيين، فيرى بأنّ "سبيتزر" قد اتّخذه "مقياسا رزينا لتحديد السمة الأسلوبية المميزة التي تدلّ على العبقرية الفردية للكاتب"[23]، وقد عزّز "كوهن" هذا المفهوم -خلال منتصف الستينيات من القرن الماضي- من خلال ترسيخه في كتابه (بنية اللغة الشعرية)..[24] ، ويشير "وغليسي" في السياق نفسه أنّ "ريفاتير" قد استهجن تحديد أسلوبية الانزياح على مستوى المعيار، باعتبارها عملية محدودة وضعيفة وغير ملائمة أصلًا بالنظر إلى غموض ماهية المعيار[25]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يرى -ريفاتير- أنّه معيار "غير ملائم لأنّ القراءَ لا يُؤسسون أحكامهم (والمؤلفون إجراءاتهم) اعتمادا على معيار مثالي ولكن اعتمادا على تصوراتهم الشخصية حول ما هو مقبول كمعيار (مثلا: ما كان "سيقوله" القارئ في مكان المؤلف)..[26] ، ويردف القول أنّ المعيار اللغوي لا يفسّر لنا "كيف يكون إجراء أسلوبيا في بعض الحالات ولا يكون كذلك في حالات أخرى، لأنّه إذا كان التنوع بالقياس إلى المعيار العام ثابتا، إذن يجب أن يكون الأثر نفسه ثابتا"[27]، وقد اتّخذ "ريفاتير" كلمة السياق كبديل للمعيار؛ "ذلك أنّ السياق الأسلوبي هو نموذج لساني مَقطوع بواسطة عنصر غير مُتَوَقَّع. والتناقض الناتج عن هذا التداخل هو المنبه الأسلوبي"[28]، فالسياق "يهتز أسلوبيا بفعل إقحام هذا العنصر المفاجئ الذي يقطع السياق، فينجم عنه اختلاف جوهري بين القبول الجاري للسياق وبين السياق الأسلوبي الجديد"[29]، ويرى "وغليسي" أنّ هذه العملية -عند ريفاتير- تبقى رهينة القراءة النموذجية..[30] ، وعليه، فالسياق عند "ريفاتير" هي البؤرة التي ينبني عليها الانزياح ومركز حيويته وحركيته، وهذا ما جعل منه يأخذ محور اهتمامه في الدراسات الأسلوبية.

4-إشكالية التعددية المصطلحية لمصطلح الانزياح (Ecart):

وبعد استعراض "وغليسي" لمفهوم الانزياح عند العديد من النقاد الغربيين، ينتقل إلى تلقي هذا المصطلح في الوطن العربي، ويشير في خضم ذلك إلى جهود "عبد السلام المسدي" الذي عدّ رائدا في هذا المجال، حيث كان من أوائل النقاد الذين أشاعوا

مصطلح الانزياح، وقد استجمع مجموعة من المصطلحات التي شاعت في التنظير الغربي لهذا المفهوم الأسلوبي، يُجملها "المسدي" فيما يأتي:(31)

- الانزياح (L'écart) والتجاوز (L'abus)، عند "فاليري".
- الانحراف (La déviation) عند "سبيتزر".
- الاختلال (La distorsion) عند "ويليك" و"وارين".
- الإطاحة (La subversion) عند "بايتار"
- المخالفة (L'infraction) عند "تيري"
- الشناعة (Le scandale) عند "رولان بارت"
- الانتهاك (Le viol) عند "كوهان"
- خرق السنن (La violation des normes) واللحن (L'incorrection) عند "تودوروف".
- العصيان (La transgression) عند "آراغون".
- التحريف (L'altération) عند جماعة "مو"("Le groupe "mu)

إنّ جل هذه المصطلحات تنصب في معنى واحد وهو خرق النظام والمخالفة والابتعاد عن المألوف..

وعلى إثر تعدد هذه المصطلحات ينتقل "وغليسي" إلى عرض تلقي هذا المصطلح في التنظير العربي، حيث نجم عنه بروز العديد من المقابلات العربية، ندرجها فيما يأتي:(32)

المقابل العربي	مرجع الترجمة
الانزياح	"عبد الملك مرتاض": (شعرية القصيدة–قصيدة القراءة) ص129،178. "عدنان بن ذريل": (اللغة والأسلوب)، ص158. "حميد لحمداني": (معايير تحليل الأسلوب) ترجمة، ص87. "محمد عزام": (الأسلوبية منهجا نقديا)، ص31. "حسين خمري": (شعرية الانزياح)، ضمن كتاب سلطة النص في ديوان البرزخ والسكين، ص241.
الانحراف	"شكري عياد": (مدخل إلى علم الأسلوب)، ص 36،37،45. "صلاح فضل": (بلاغة لخطاب وعلم النص) ص 58، (علم الأسلوب) ص154، (مناهج النقد المعاصر) ص 108، (نظرية البنائية) ص 372،375،376. "محمد عناني": (المصطلحات الأدبية الحديثة) المعجم، ص16. "سعيد حسن بحيري": (علم لغة النص)، ص 59، 60، 61.

	"سعد مصلوح": (علم الأسلوب)، ص43، 152. "عزت محمد جاد": (نظرية المصطلح النقدي)، ص 374،372.
"العدول"	"التهامي الراجي الهاشمي": (معجم الدلائلية)1، ص165. "عبد الله حوله": مجلة فصول، القاهرة، م5، عدد1984،01، ص86.
"الفارق"	"مبارك مبارك": (معجم المصطلحات الألسنية)، ص92. "سعيد علوش": (معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة)، ص93. "جوزيف شريم": (دليل الدراسات الأسلوبية)، ص155.
"البعد"	"محمد بنيس":(ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب) ص517. "شكري المبخوت" و"رجاء بن سلامة": (الشعرية) ترجمة، ص89. ض
"التبعيد"	"يمنى العيد": مجلة الآداب، بيروت، س42،ع8–9، أوت–سبتمبر 1994،ص64.
"الشذوذ"	"مجدي وهبة": (معجم مصطلحات الأدب)، ص106 ،107. "كامل المهندس": (معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب)، ص209.
"الفجوة"	"اعتدال عثمان": (إضاءة النص)، ص06. "محمد عناني": (المصطلحات الأدبية الحديثة)، ص36. (معجم مصطلحات علم اللغة الحديث)، ص31.
"التجاوز"	"المنصف عاشور": (التركيب عند ابن المقفع)، ص313.
"الاتساع"	"توفيق الزيدي":(أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث)،86.
"المجاوزة"	"أحمد درويش": (جون كوهين: النظرية الشعرية) ترجمة: أحمد درويش، ص35.

إضافة إلى ما سبق ذكره، وقبل التعرّض إلى تحليل هذا الجدول الإحصائي، فإنّه تنبغي الإشارة إلى أنّ هناك من يزاوج بين جملة من البدائل الاصطلاحية العربية،

حيث أورد "وغليسي" عددا غير قليل من الباحثين الذين اتخذوا أكثر من مقابل عربي لترجمة هذا المصطلح، فهناك من يزاوج بين الانحراف والانزياح، وهناك من يجمع بين أربع مقابلات عربية في مواطن مختلفة، وهناك من يمثّل هذا المصطلح بخمس مقابلات عربية... وقد أردف "وغليسي" نماذج عن ذلك أمثال "عبد السلام المسدي" و"محمد عناني" و"عدنان بن ذريل".. وغيرهم من الذين وقعوا في هذه الإشكالية المصطلحية..[33] ، وهذا بطبيعة الحال يؤدي إلى خلق نوع من التشويش والارتباك في أواسط الكتابات النقدية.

لقد قدّم "وغليسي" من خلال عرضه لهذا الكم من المقابلات العربية معاييرا للرفض، وقبول هذا المصطلح في تلقيه في الخطاب النقدي العربي؛ فعلى سبيل المثال يورد ترجمة "أحمد درويش" لمصطلح (Ecart) بمصطلح (المجاوزة)، وهي ترجمة يراها "وغليسي" -على الرغم من ضآلة تداولها- من "أكثر المصطلحات الأخرى إحاطة بالمفهوم؛ ذلك أنّه يُلمّ به من شتى أطرافه، فهو يستوحي الدلالة البلاغية للمجاز"[34]، ويُردف القول أنّ هذا المصطلح يأخذ ضمنيا ما أُحيل عليه من قبل تودوروف وديكرو من خلال قاموسهما الموسوعي حيث تمّ تحديد "الانزياح" أنّه مجاز أصلًا[35].

وفي سياق آخر، يورد ترجمة "كمال أبوديب" لمصطلح (Deviation) بـ: (انحراف)، غير أنّه في كتابه (في الشعرية) يعبّر عن المفهوم ذاته بمصطلح عربي آخر هو(الفجوة) حيث جعل منه الناقد حدا للشعرية، أوهي إحدى وظائفه.. وقد أراد من خلال هذا المصطلح أن يتّسع مفهومه ليتجاوز "كيمياء اللغة" إلى مقاطعة المعايير الإيقاعية المألوفة وما شاكلها[36]، وقد استهجن "وغليسي" هذا المقابل، ذلك أنّ "(الفجوة): مسافة التوتر...ليست إلّا انزياحا نسبيا عن مصطلح الانزياح"[37]، وفي مقابل ذلك، نجده يُشيد باصطفاء "عبد الملك مرتاض" لمصطلح (الانزياح)، ورغم استعماله لبعض الكلمات الأخرى التي تصب في المفهوم المصطلحي ذاته، إلّا أنّه يفضّل مصطلح الانزياح ويراه الأنسب في مقابلة المصطلح الأجنبي[38]، وعلى النقيض من ذلك، يشير "وغليسي" إلى بعض النقاد الذين آثروا إطلاق مصطلح (الانحراف) كمقابل للمصطلح الأجنبي أمثال "صلاح فضل"[39]، حيث أشار في موضع من كتابه إلى أنّ هذا المصطلح قد "تعددت صيغه في اللغة العربية. فمرّة يبحث الرفاق له عن معادل بلاغي قديم وهو "العدول".. ومرة أخرى يلجأ الباحثون إلى كلمة ذات إيحاء مكاني واضح هي "الانزياح" تفاديا للإيحاء الأخلاقي المقصود والمستثمر في كلمة "انحراف".."[40]، ومع ذلك فإنّه يفضّل مصطلح (الانحراف) الذي يراه الأنسب في مقابلة هذا المصطلح الأجنبي.

ويبقى السؤال مطروحا عند "يوسف وغليسي" عن سبب انصراف النقاد وإصرارهم على تفضيل مصطلح (الانحراف) رغم ما يحمله من معان سلبية، في وقت يتّجه فيه بعض النقاد إلى العدول عن هذا المصطلح متّخذين بذلك مصطلح "الانزياح" في مقابلة المصطلح الأجنبي، ولا يخفى في أنّ "هذا المفهوم الأسلوبي الغربي -وما أحيط به من مضاعفات اصطلاحية متعددة- قد تلقفتْه الدراسات العربية بإسهال اصطلاحي حادّ، شغلها عن توظيفه العلمي اللائق"[41].

كما استعان الدكتور "وغليسي" بدراسة الناقد "أحمد ويس" الذي قدّم إحصاءً للعديد من المقابلات العربية التي ترجمت هذا المصطلح، حيث بلغت ستين مصطلحا عربيا، ويرى "وغليسي" أنّ "أكثر من ثلاثة أرباع هذه الحصيلة الهائلة يمكن الاستغناء عنها لأنّها محدودة القوة الاصطلاحية، أو ضئيلة الحظّ التداولي، ومنعدمة الكفاءة المفهومية، أو هي محمولات لموضوعات أخرى من حقول غير أدبية أصلا"[42]، ويمكن تمثيل معايير رفض "وغليسي" لهذه البدائل الاصطلاحية فيما يأتي:

المصطلح المرفوض	معيار الرفض.
الشناعة، الحماقة، الفضيحة، الجنون، النشار، العصيان،..	يرى "أحمد ويس" أنّ هذه المقابلات "بعيدة جدا عن اللياقة التي يجمل بالأدوات النقدية أن تتسم بها. ثم إنّنا لسنا في موضع اضطرار كي نقبلها.."[43]
الاستطراد، مزج الأضداد، الابتكار، الانحناء، نقل المعنى، الاتساع..	تبتعد عن دقة المفهوم[44].
الاختلاف، الخلق، الأصالة، التغريب، المفارقة، التباين، التضاد، العدول..	يرى الناقد "وغليسي" أنّ هذه المصطلحات لها دلالاتها الخاصة خارج الإطار الأسلوبي لهذا المفهوم، باعتبار أنّها مشغولة دلاليا في حقول أدبية ونقدية أخرى..[45]

إنّ هذه المقابلات العربية، رغم اختلافها، قد جعلت في مقابل مصطلح أجنبي واحد، إلّا أنّها "ليست في مستوى واحد دلالة على المفهوم"[46] وهذا ما خلق نوعا من التشتت والارتباك في أواسط الكتابات النقدية، إضافة إلى كون البعض منها "يسيء إلى لغة النقد. وإذن فليس هو جديرًا بأن يكون مصطلحًا نقديا"[47]، وهذا ما جعل الباحث "أحمد ويس" يستبعد العديد من المصطلحات مثل: (الإخلال، والاختلال، والشناعة، والخلل، والخطأ، والعصيان...) على الرغم من أنّ لها أصولا أجنبية..[48] ، ذلك أنّ مفاهيمها ودلالاتها تكمن خارج الإطار الأسلوبي.

ويعود "أحمد ويس" ليؤكد على أنّ "ما يغلب على هؤلاء الذين استعملوا الانزياح هو اعتمادهم ثقافة فرنسية: استقاة أو ترجمة، على حين مال إلى "الانحراف" في الغالب أولئك الذين غلبت عليهم المصادر الإنجليزية، فهذه لا تحوي إلّا كلمة Déviation، وهي كلمة تناسبها كلمة "الانحراف"، على حين أنّا وجدنا Ecart يناسبها "الانزياح". وهي كلمة فرنسية غير موجودة في الإنجليزية"[49]، وبناءً على هذا، يرى أنّه لا حرج في أن يكون عند النقاد مصطلحان يتناوبان فيما بينهما مفهوما ما مثلما حدث مع الانزياح، وإنّما الحرج في نظره هو الإكثار من توظيف المصطلحات مما يغيّب دلالة المصطلح ويشوّه مفهومه..[50]

ورغم إقرار "وغليسي" بأنّ مصطلح "الانحراف" له حمولة ودلالة أخلاقية سلبية، إلّا أنّه "مفروض بقوة التداول والشيوع، لذلك يظل إلى جانب (الانزياح) يتنازعان المفهوم"[51]، ومع ذلك فإنّنا نجده يُفضّل مصطلح "الانزياح" وذلك لاعتبارات عدّة، هي كالآتي:

- انصراف الكتابات الأسلوبية الفرنسية إلى استعمال كلمتي (Déviation) و(Ecart) في الوقت ذاته، وحسب "وغليسي" فإنّه ليس من اللائق علميا ترجمتهما معا بالمشترك اللفظي (الانحراف)، بل الأمثل ترجمة الكلمة الأولى بـ: (انزياح)، ثم تمحيض (الانحراف) للكلمة الثانية[52].

- يشير "وغليسي" أنّ تفضيل بعض النقاد للانحراف على الانزياح بدعوى الجانب السيكولوجي (Displacement) لهو أمر فيه مغالطة، حيث وجد

أنّ أكثر المتخصصين في علم النفس ينقلون هذا المصطلح الفرويدي إلى (الإزاحة) لا إلى الانزياح..[53] ويشير في ذلك إلى "مصطفى حجازي" في ترجمته لـ: (معجم مصطلحات التحليل النفسي)، حيث جعل "الإزاحة" في مقابل الكلمة الفرنسية (Déplacement)[54].

إضافة إلى ذلك، نجد أنّ "السيد إبراهيم" الذي استخدم مصطلح الانحراف مقابلا للانزياح، وذلك في كتابه (الأسلوبية والظاهرة الشعرية –مدخل إلى البحث في ضرورة الشعر) يقول: "نحن نستعمل كلمة "الانحراف" للدلالة على الظاهرة التي تندرج تحتها الضرورة الشعرية. وربّما كان ذلك استعمالا حرفيا للمقابل الأجنبي déviation. وقد رفض بعض نقادنا هذه الكلمة وآثر عوضا عنها ألفاظا أخرى. غير أني أرى أنّ لها وجودا أصيلا في الكتابات العربية القديمة"[55]، ويستدلّ في خضم ذلك ببعض الكتاب كـ: "ابن خلدون" الذي يرى أنّه استخدم هذا المصطلح للدلالة على الكلمة المخالفة للمألوف[56]. كما نجد "موسى سامح ربابعة" قد استخدم أيضا مصطلح (الانحراف) مقابلا للمصطلح الأجنبي، يقول:"وتتجلى ظاهرة الانحراف في النص الشعري من خلال استخدام العناصر اللغوية، التي تكشف عن استعمال غير مألوف في التعامل مع اللغة، إذ يغدو النص الشعري نصا يرنو إلى (اللاعقلانية) و(اللامألوف) و(اللاعادي). بهذا تكون ظاهرة الانحراف من أهم الظواهر التي تعكس تجليات اللغة الشعرية في تجاوزها للنمط التعبيري المألوف أو المتواضع عليه "[57]، ويقول في سياق آخر: "ويبدو أنّ هذا المصطلح قد شاع وانتشر بين الباحثين المعاصرين... إذ إنّ هذا المصطلح قد عُرف بالفرنسية على أنّه(Ecart)، وبالإنكليزية (Deviation) وبالألمانية(Abweichung).."[58] ، وفي موضع آخر يقول:"يجسّد الانحراف قدرة المبدع في استخدام اللغة وتفجير طاقاتها وتوسيع دلالاتها وتوليد أساليب وتراكيب جديدة لم تكن دارجة أو شائعة في الاستعمال"[59]، ومن ثمة يبرّر هذا الباحث اختياره لهذا المقابل العربي بدعوى أنّه المصطلح الأقرب من حيث الدلالة المعجمية إلى مفهومه، الذي يحيل إلى كسر أفق الانتظار من خلال استعمال تعابير غير عادية وغير متعارف عليها من قبل الباحثين، ومن ثمة يجسّد هذا المصطلح تجاوزا عن النمط التعبيري المألوف إضافة إلى إبرازه لقدرة المبدع في إنتاج الدلالات والتراكيب الإيحائية الجديدة.

وعموما، نجد أنّ "وغليسي" قد فضّل مصطلح "الانزياح" -على غيره من المقابلات العربية الأخرى- في جعله مقابلا للمصطلح الأجنبي Ecart، ويبدو أنَّ مردّ ذلك إلى كون أنّ دلالة هذا المصطلح"لم تستهلك في حقول معرفية أخرى، بخلاف (الانحراف) و(العدول) اللذين تتوزّعهما مجالات دلالية شتّى..[60]

إنّ هذا المصطلح قد أحدث جدلا واسعا في الدراسات الأسلوبية والبلاغية وكذا اللسانيات، ورغم أنّه ظهر بتسميات مختلفة من خلال تبني النقاد للعديد من المقابلات العربية المرادفة له، إلّا أنّه شاعت على بعض المصطلحات ابتعادها عن دقة المفهوم، وهناك من المقابلات ما تسيء في دلالاتها إلى لغة النقد، كما أنّ هناك مقابلات أخرى لا تصلح للاستعمال في المجال الأدبي.

خاتمة:

بناء على ما سبق يمكن القول بأن الانزياح كمصطلح نقدي قد أحدث جدلا واسعا في الدراسات الأسلوبية والبلاغية وكذا اللسانيات، ولا شك أنّه من أبرز العناصر المهمة في الخطاب الأدبي بعدّه عنصرا فعالا في تحقيق شعريته ولفت انتباه المتلقي.

إنّ الإشكالية في تعدد المصطلح تكمن في غياب التنسيق بين الترجمات المختلفة، وكذا الانصراف إلى الجهود الفردية في وضع المصطلح، كما أنّ اختلاف المنطلقات الفكرية والثقافية لكل باحث من بين الأسباب التي تؤدي إلى خلق هذا التشتت والارتباك، وهو الأمر الذي خلّف تشتتا وارتباكا في أواسط الكتابات النقدية العربية، ونحن نرى، أن معالجة هذا الخلط الاصطلاحي، يتطلب من الباحثين الانصراف إلى الدعوة لتوحيد المصطلحات من خلال الارتكاز على دور المجاميع اللغوية العربية وكذا المؤسسات التي لها صلة بالتأليف والترجمة والتعريب في إطار الجهود الجماعية لتوحيد المصطلح، مع ضرورة مراعاة السياق الثقافي والمعرفي الذي أُنتِج ضمنه المصطلح الأصل تفاديا لتغييب الجوهر المفهومي والحمولة الدلالية لهذا المصطلح.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أبو الحسين أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979، ج3، ص303.

2- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج2، ص516 (مادة: صلح).

3- أحمد بن علي الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تـ: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، ط 2، ج 1، ص345.

4- إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية – مكتبة الشروق الدولية – مصر، ط: 4، 2004، ص520.

5- يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت (لبنان)، ط1، 2008، ص21.

6- عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 2015، ص19.

7- عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، ص 19.

8- عزت محمد جاد: نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 2002، ص7.

9- يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 24.

10- عبد العالي بوطيب: إشكالية المصطلح في النقد الروائي العربي، أعمال ندوة: قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية، (09-10–11 مارس 2000، ج1، جامعة مولى اسماعيل، كلية الآداب واللغات، مكناس، ص 171.

11- محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث الأدبي، دار الشرق العربي، بيروت (لبنان)، د.ط، د.ت، ص 08.

12- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ج1، ج4، 2003، ص210.

13- أبي نصر إسماعيل بنِ حمّاد الجُوهري: الصحاح -تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: محمد محمد تامر، دار الحديث (القاهرة)، 2009، ص1129.

14- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج5، ص418.

15- نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب -دراسة في النقد العربي الحديث،دار هومة، الجزائر، ج1، ص198.
16- يوسف أبوالعدوس: الأسلوبية (الرؤية والتطبيق)، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان (الأردن)، ط1، 2007، ص184.
17- المرجع نفسه، ص185.
18- يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص204.
19- المصدر نفسه، ص204.
20- المصدر نفسه، ص204.
21- المصدر نفسه، ص205.
22- المصدر نفسه، ص205.
23- المصدر نفسه، ص206.
24- المصدر نفسه، ص206.
25- المصدر نفسه، ص206.
26- ميكائيل ريفاتير: معايير تحليل الأسلوب، ترجمة: حميد لحمداني، منشورات دراسات سال، المغرب، ط1، 1993، ص51.
27- ميكائيل ريفاتير: معايير تحليل الأسلوب، ص54.
28- المرجع نفسه، ص56.
29- يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص207.
30- المصدر نفسه، ص207.
31- عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3، ص100، 101.
32- يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص210، 211، 212.
33- المصدر نفسه، ص213.
34- المصدر نفسه، ص212.
35- المصدر نفسه،ص212.
36- المصدر نفسه، ص214.
37- المصدر نفسه، ص214.
38- المصدر نفسه، ص214، 215.
39- المصدر نفسه، ص215.
40- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص57.
41- يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص216.
42- المصدر نفسه، ص217.
43- أحمد محمد ويس: الانزياح وتعدد المصطلح، مجلة عالم الفكر، مج25، ع3- يناير/ مارس 1997، ص59.
44- يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص217.
45- المصدر نفسه، ص217.
46- أحمد محمد ويس: الانزياح وتعدد المصطلح، ص59.
47- المرجع نفسه، ص59.
48- المرجع نفسه، ص59.
49- المرجع نفسه، ص66.
50- المرجع نفسه، ص66.

51- يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص218.
52- المصدر نفسه، ص218.
53- المصدر نفسه، ص218.
54- جان لابلانش، ج.ب. بونتاليس: معجم مصطلحات التحليل النفسي، ت: مصطفى حجازي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1997، ص62.
55- السيد إبراهيم: الأسلوبية والظاهرة الشعرية (مدخل إلى البحث في ضرورة الشعر)، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط4، 2007، ص37.
56- السيد إبراهيم: الأسلوبية والظاهرة الشعرية (مدخل إلى البحث في ضرورة الشعر)، ص37.
57- موسى ربابعة: الأسلوبية (مفاهيمها وتجلياتها)، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1،2003، ص43.
58- المرجع نفسه، ص44.
59- المرجع نفسه، ص58.
60- يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص220.